السعادة

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن كثيراً من الناس اليوم يبحثون عن السعادة ويتلمسون آثارها وأسبابها ولكنهم قد يخطئون في الوصول إليها فمنهم من يظن أنها في المال ، ومنهم من يظن أنها في بناء القصور والعمارات ، ومنهم من يظن أنها في الجاه والسلطان وغيرها من حظوظ النفس وشهواتها ، والحقيقة أن السعادة شيء لا يرى بالعين المجردة ولا يقاس بالدينار والدرهم.

إنما هي شعور جميل بالغبطة وانشراح بالصدر وراحة في الضمير وهدوء في البال ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ⑧** ﴾ [الشرح]

وعرفها أهل التربية وعلماء النفس : بأنها ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والبهجة والسرور . **وتنقسم السعادة إلى قسمين:**

القسم الأول: سعادة دنيوية مؤقتة يشترك فيها المؤمن والكافر.

أما القسم الثاني: فهي سعادة أخروية دائمة لا تكون إلاّ للمؤمنين كما قال تعالى :﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑨⑦** ﴾ [النحل:٩٧] ، إذاً السعادة ليست شيكاً يصرف ولا

دابة تشترى ولا براً يكال ولا وردة تشم قال تعالى :﴿ ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ [طه : ١٣١] .

الشـــقـاوة:

قد كتب الله عز وجل الشقاء على بعض من الناس لأنهم بعيدين عن الله مضيعين لحدوده قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦) ﴾ الأحزاب : ٣٦] ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤] ، وقد توعد الله الأشقياء بأنه سيلقي في قلوبهم الضيق والاضطراب فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

فهؤلاء الأشقياء في انزعاج دائم وقلق واصب ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤]،يحترقون مع الأحداث ويغضبون من غلاء الأسعار،تدور في نفوسهم حرب عالمية وهم على فراش النوم ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ [البقرة : ٩٦] فهذا ابن نوح كان شقياً لأنه رفض أن يصعد مع أبيه في السفينة وقال بنص القرآن : ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾[هود : ٤٣]،ومن الأشقياء النمرود فقد ادعى الربوبية وقال :﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، فلبس بذلك ثوباً على غير مقاسه فأورده الله النار وبئس الورد المورود ، فيا من يعيش حياة البؤس والشقاء ويا من أثقلته الهموم والغموم والأحزان ألا يشرح صدرك ويجلب سعادتك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر : ٥٣] ،

ألا يسرك ويفرحك قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ، أو قوله تعالى أيضاً : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه : ٨٢] .

أوهام السعادة:

هناك من الناس من يجلبون على أنفسهم الشقاء وهم لا يعلمون ، يظنون أن سعادتهم في المال وفي الجاه والسلطان وفي الشهوات والملذات .

وهذه سعادة وهميه لا حقيقية ، أولها:

[١] المال: والمال ليس كل شيء فكم من إنسان يملك المال ولكنه غير سعيد لذلك فقد ذم الله عز وجل المال وأهله بقوله سبحانه :﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة : ٥٥] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبا : ٣٧] ، فالمال قد يكون سبباً في هلاك الإنسان ليس في سعادته فهذا قارون الذي آتاه الله من المال الكثير وكان يظن أن السعادة كلها في المال لكن الله عز وجل ختم حياته بقوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص : ٨١] ، وقد سمعت عن رجل كان يملك الأموال الكثيرة ويقال أنه كان صرافا وعنده خزنة كبيرة فدخل ذات مرة إلى داخلها ليعد أمواله وبينما هو كذلك إذ بباب هذه الخزنة يقفل عليه فيموت اختناقا ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله . أيضاً لعلكم سمعتم عن قصة تلك المرأة اليونانية التي تسمى كرستينا ، أغنى امرأة في العالم فقد

تزوجت برجل أمريكي ثم طلقته فتزوجت برجل يوناني ثم فارقته فتزوجت برجل شيوعي من روسيا وذهبت معه إلى روسيا وعاشت معه في غرفتين صغيرتين فسألوها الناس كيف تتزوجين بشيوعي وأنت تمثلين الرأسمالية فقالت: أبحث عن السعادة ثم بعد ذلك تزوجت من رجل فرنسي، فسألها الصحفيون هل أنت أغنى امرأة في العالم؟، قالت: نعم أنا أغنى امرأة ولكني أشقى امرأة في العالم. لا حظوا أنها تزوجت من أربع دول تبحث عن السعادة لكنها لم تجدها وفي آخر أمرها وجدوها ميتة في شاليه بالأرجنتين،ولا يعلمون أنها ماتت ميتة طبيعية أم أنها قتلت ، ثم قام الطبيب الأرجنتيني بتشريح جثتها، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤]، إذاً السعادة ليست في جمع المال والتكاثر فيه إنما هي بالتقوى والإيمان يقول الله سبحانه : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴿٥٨﴾ ﴾. [يونس : ٥٨] .

[٢] وبعض الناس يظن أن السعادة في الجاه والسلطان: وهذا غير صحيح ففرعون عليه لعائن الله الذي ملك زمام الأمور كان يقول لقومه كما أخبر الله على لسانه ﴿ **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴿٥١﴾ ﴾[الزخرف: ٥١] ، فأجراها الله من فوق رأسه.

وذلك الحاكم الذي حكم بلاد الكونجو في إفريقيا «موبوتو» اثنين وثلاثين عاماً وملك القوة والجبروت لكنه يخرج من بلاده خائفاً هارباً مترقباً فيستقر في بلاد المغرب ، ويختم حياته بالشقاء والذل والهوان ، وعند وفاته لم يجد أحداً يشيعه غير بعض أقاربه. إذا لا يمكن أن يجد الإنسان السعادة الحقيقية في الجاه والسلطان لأنها مسؤولية تكليف لا تشريف ، لذلك نرى أن أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رحمه الله عندما تولى الخلافة لم يجد راحة ولا سعادة حتى فارق الدنيا ، فتقول زوجته فاطمة بنت عبد الملك : والله لم نجد سروراً قط منذ أن

دخلت علينا هذه الخلافة ، فيا ليت بيننا وبينها بعد المشرقين، كان قبل أن يتولى الخلافة سعيداً في حياته متأنقاً متألقاً فواح العبير لكنه بعد أن تولى الخلافة أصبح في قلة وفاقة ،يدخل عليه ابن زياد فيقول له يا أمير المؤمنين إني لعجب من أمرك؟ ، قال: و مما تعجب؟، قال: مما نحل من جسمك وتغير من لونك أين ذلك الجسم الريان والجمال الفتان والشعر الجميل، قال إنك إذاً لأشد عجباً لو رأيتني في قبري وقد تغير لوني وتساقط عظمي، ثم جعل يبكي رحمه الله . فصاحب الجاه والسلطان يعيش في قلق دائم لايفا رقه الهم والحزن ، أحد الأمراء العباسيين كان يسكن قصراً منيفاً والناس له مطيعون لكنه لم يكن سعيداً ، أطل يوماً من شرفة القصر فرأى رجلا يعمل حمالاً فإذا جاء وقت الضحى توضأ وصلى ركعتين على نهر دجلة ، فإذا اقترب الليل ذهب إلى بيته وأهله عنده قوت يومه وليلته ، فحزن ذلك الأمير حزناً شديداً على حياته لأن هذا الحمال هو أسعد منه حياة ، فترك القصر والإمارة وهام على وجهه إلى بلاد خراسان وعمل هناك نجاراً ، ترك السعادة الوهمية وذهب هناك ليعيش سعادة حقيقية في ظل عمله الجديد .

[٣] **ومن الناس من يظن أن السعادة في الشهرة والصيت:** وأن تكون مشهوراً معروفاً عند الجميع يشار إليك بالبنان، الرسول ﷺ يقول: «**من رأى رأى الله به ،ومن سمَّع سمَّع الله به**» ، ويقول أيضاً في حديث آخر: «**إن الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يُعرفوا ،وإذا غابوا لم يُفقدوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم**» ، فهؤلاء السعداء ، أما غيرهم من أهل الشهرة والرياضة والفن، والذين تطاردهم العدسات في كل مكان ويتبعهم الصحفيون من مكان إلى مكان،يعيشون سعادة وهمية لا حقيقية،يعيشون حياة البؤس والشقاء فهذا المغني المُلقب « بالعندليب » الرجل الذي عاش حياته مريضاً وحيداً من غير زوجة ولا أولاد يموت بعد خمسين عاماً من شدة المرض وهو يقول الحب عذاب ، عذب نفسه في سبيل الشيطان . أما خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو

على فراش الموت يقول والله ما في جسدي موضع شبر إلاّ وفيه ضربة بسيف أو رمية برمح وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ، يريد أن يموت شهيداً في سبيل الله ، وذاك يريد أن يموت شهيدا في سبيل الحب والغرام.

مثال أخر: نشر في مجلة اليمامة: دكتورة مشهورة عند الناس قد نالت أعلى الشهادات في مجال الطب لكنها لم تجد السعادة فتصرخ بأعلى صوتها خذوا شهاداتي وأعطوني زوجاً خذوا شهاداتي وأسمعوني كلمة ياماما ، وتصف عيادتها بأنها زنزانة ومعطفها الأبيض الذي تلبسه بأنه لباس حداد ثم تقول هذه الأبيات:

لقد كنت أرجو أن يُقال طبيبة ... فقد قيل فما نالني من مقالها
وكل مناي بعض طفل أضمه ... لكي أسعد في حياتي الباقية

يا لها من حسرات ، ويا لها من لوعات.

[٤] وبعض الناس يظنون أن السعادة في الشهوات والملذات: وإشباع رغبات النفس فهؤلاء مخطئون ، فالإنسان مهما استمتع في الشهوات والملذات فإنه لا يعيش سعادة حقيقية قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) ﴾[الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧] .

وروي أن الحسن البصري رحمة الله عليه كان يقول: والله وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لايفا رق قلوبهم ، فالأسير من أسرته شهوته ودامت حسرته ولوعته ، فكم من نظرة ألقت في قلب صاحبها البلاء ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: « **يا عليّ لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية** » ، فمن أراد أن يجد حلاوة وطمأنينة في قلبه فليغض بصره عن الحرام قال : « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله في قلبه حلاوة يجدها يوم يلقاه** » ،

وبعض الناس قد يخطئون طريق السعادة ويظنون أنها عند أهل الخمور والمسكرات فيشربونها هروباً من الهموم والأحزان ، وهم بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وقد أثبتت الدراسات أن حوادث الانتحار المتعلقة بالمسكرات بلغت ٨٠٪ عن غيرها من الحوادث ، إن أكثر من نصف الجرائم التي تحدث في العالم بسبب المسكرات بل قد تؤدي بعض هذه المسكرات إلى الوفاة ، فقد قيل أن رجلاً ذهب إلى أحد البلاد المعروفة بالفساد وهناك في شقته شرب الخمر ، قارورة ثم الثانية ثم الثالثة ، هكذا حتى شعر بالغثيان فذهب إلى دورة المياه أعزكم الله ليتقيأ هناك ، أتدرون ماذا حدث له؟ ، مات في دورة المياه ورأسه في المرحاض ولا حول ولا قوة إلا بالله، إذاً هل توجد السعادة عند أهل الفجور والمجون والزنا؟ كلا والله ، فهي لذة مؤقتة يعقبها ألم وحسرات لكن الزواج المباح في ظل الإسلام يعقبه سرور واطمأنان مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** (٢١) ﴾ [الروم :٢١] ، لذلك من أراد السعادة فليستمتع بالحلال ، حيث يقول ﷺ : « **الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة** » ، وقوله أيضاً : « **حبب إليَّ من دنياكم الطِّيب ، والنساء ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة** » .

الأمور التي تجلب السعادة :

لذلك يجب على الإنسان أن يترك هذه الأوهام السابقة التي ذكرناها وينتقل إلى سعادة حقيقية لا وهمية:

[١] **في ظل حياة الإيمان:** فالإيمان هو الطريق الوحيد الموصل إلى الحياة الطيبة الكريمة قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** (٨٢) ﴾ [الأنعام :٨٢] ، والله عز وجل قد وعد أهل الإيمان بقوله : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم**

بأحسن ما كانوا يعملون (٩٧) ﴾ [النحل. ٩٧] .فالإنسان بلا إيمن إنسان لا قيمة له ولا معنى ىه في الوجود قال تعالى: ﴿ والَّذين كفروا يتمتَّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنَّار مثوى لَّهم (١٢) ﴾ [الإنسان:١٢] ، الإنسان عندما يعيش بعيداً عن الإيمان يعيش تائهاً لا يدري إلى أين ، فهذا إيليا أبو ماضي يقول عن نفسه:

حئت لا أعلم من أين جئت ولكني أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

فكيف يسعد هؤلاء وقد قطعوا العلاقة بينهم وبين الله وأغلقوا الأبواب على أنفسهم والله عز وجل يقول : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤] ، قال نابليون :لا أعرف ست أيام سعيدة في حياتي لماذا؟ لأنه خالي من الإيمان. إذاً لا تحزن إذا كنت مؤمناً فأنت على خير كثير ، قال تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لاَّ يستوون (١٨) ﴾. [السجدة : ١٨] ، فالمجتمع بلا إيمان مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة ، المجتمع بلا إيمان مجتمع تعاسة وشقاء وإن زخم بأدوات الرفاهية والرخاء ، وخير شاهد على ذلك ما يعيشه المجتمع الغربيّ الكافر نتيجة للفراغ الإيماني الذي يؤدي به في آخر المطاف إلى الانتحار فيقول :أحد علماء النفس واسمه دايل إن عدد الأمريكيين الذين يُقبلون على الانتحار -أكثر بكثير من الذين يموتون نتيجة الأمراض الفتاكة ، فالحياة إذا خلت من الإيمان، فلا قيمة لها ولا وزن، ولا معنى ، يقول محمد إقبال ـ رحمه الله ـ :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي ديناً
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

أهل الإيمان يعيشون سعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدوا عليها بالسيوف ، كان عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي يتأوه ويقول: يا ليتني لم أتول الخلافة ، وكان ابنه هشام يقول : عددت أيام سعادتي فوجدتها ثلاث عشرة يوما!! ، السعادة ليست في الزمان ولا في المكان ولكنها في الإيمان. قال

تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) ﴾ [التوبة : ١٠٩] ، فالمؤمنون السعداء ﴿أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وسعادة الإيمان لا توجد إلاّ عند أهل الإيمان كبلال وسلمان وعمار ، لأن بلالاً أذن بلا إله إلا الله وسلمان استجاب للحق والهدى وعمار أوفى بالعهد والميثاق ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) ﴾ [الأحقاف : ١٦] .أحمد بن حنبل عاش سعيداً لأنه يحمل الإيمان ، كان ثوبه أبيضا مرقعا ، عنده بيت من الطين يسكنها لا يجد إلاّ كسرة خبز يأكلها ومع ذلك وجد الراحة والهدوء.

[٢] من الأمور التي تجلب السعادة الإكثار من الصلاة وقراءة القرآن: وهو علاج مفيد يصفه أطباء القلوب حيث يقول عليه الصلاة والسلام: « **أرحنا بها يا بلال**» ، وجعلت قرة عينه ﷺ في الصلاة ، ولهذا كان يقول :« **حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**» ، فإذا داهمك الخوف والقلق وطوقك الحزن والألم فاهرع إلى الصلاة حالاً عملاً بالآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وإذا أظلمت في وجهك الأيام واختلفت الليالي فما عليك إلاّ بالصلاة، ونصيحتي لهذا الجيل الذي عصفت به رياح الشهوات وحمى المغريات واستحكمت عليه الأمراض النفسية والعصبية إلا أن يبادر إلى السجود والركوع وأن يمرغ جبينه بين يدي الله فقد سمعت عن رجل كافر عاش حياة القلق والاضطراب وقيل أنه كان لا يجد السعادة والطمانينة إلاّ إذا خر ساجداً على التراب فجاء إليه أحد المسلمين ، وأخبره أن المصلين في الإسلام يجدون لذة حقيقية في الركوع والسجود، فأسلم ذلك الرجل بعد أن علم هذه الحقيقة الثابتة في الإسلام.

أيضاً يجد الإنسان السعادة في القرآن الكريم الذي جعله الله شفاءً لما في الصدور ، وجلاءً للهموم والغموم قال تعالى :﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا (٨٢) ﴾ [الإسراء:٨٢]، فلا عيش أطيب من عيش المتعظين بالقرآن المهتدين به قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة :١٦]. فإذا أردتم حياة السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والردى فما عليكم إلاَّ بالقرآن، ما تمسك به عبد إلاَّ عصمه الله،وما تركه جبار إلاَّ قصمه الله،ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤] .

[٣] ومن الأمور التي تجلب السعادة الإكثار من ذكر الله : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] ، يقول ابن القيم رحمه الله :واللذة الحاصلة بذكر الله وبالصلاة عاجلاً وآجلاً أعظم وأبقى وأدفع للهموم والغموم والأحزان . من داوم على ذكر الله عاش سعيداً، ومن أعرض عن ذكر الله عاش تعيساً يائساً قال تعالى :﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤] ، فمن حرم لذة الذكر فلا يحسب نفسه إلاَّ مع الأموات قال تعالى : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) ﴾ [النحل : ٢١] ، وفي الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت** » . وقوله : « **سبق المفردون** ، قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟، قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات** » .

ومن صفات المؤمنين:

أنهم يذكرون الله في كل وقت وحين كما قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، .ومن أراد أن يشرح صدره وينير قلبه.فعليه بذكر الله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾** ﴾ [الأحزاب : ٤٠ ـ ٤٢]، لذلك أوصى الرسول ﷺ ذلك الرجل الذي جاء يساله بقوله : « **لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله** » . ومن استحكمت عليه الهموم والغموم والأحزان فعليه أن يذكر الله ويدعوه فقد كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله : «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وغلبة الدين وقهر الرجال**» ، وكان إذا اشتد عليه الكرب يقول : «**لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم** » فكم من مرة ضاقت علينا الأرض بما رحبت وانقطعت بنا السبل وأظلمت في وجوهنا الآفاق وإذ بالفرج يأتي والنصر والتمكين مصداقاً لقوله تعالى :﴿ **قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ** ﴾ [الأنعام : ٤٢] ، إذاً من الذي يفزع إليه المكروب ويستغيث به المنكوب وتلهج بذكره الالسن؟ ، إنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾** ﴾ [النمل : ٦٢] .

[٤] ومن الأمور التي تجلب السعادة الرضا بأقدار الله وعدم التسخط منها:

ففي الآية الكريمة ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾** ﴾ [الحديد :٢٢] . وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاَّ**

بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف» ، ومن لوازم « رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً » ، أن ترضى بما قسم الله لك إن كان خيراً فخير وإن شراً فشر.واعلم أن الرضى لابد أن يسبقه الابتلاء لقول الرسول ﷺ : «إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » ،وقوله ﷺ : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه» ،والإنسان يجب أن يتسلح بالرضا والشكر حتى يصل إلى أعلى مراتب السعادة قال تعالى : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

ويجب على المسلم التسليم والإذعان لقضاء الله وقدره ولا يقل «لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » ، إنَّ تذكر الماضي والتفاعل معه والحزن لمآسيه حمق وجنون ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٤] ،واستباقه الأحداث ومعرفة المستقبل المجهول نوع من أنواع السحر والشعوذة ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النحل:١] ،وإذا كنت ممن يريد السعادة فارضي بصورتك التي ركبك الله فيها وأرضى بصوتك ومستوى فهمك وأرضى بما قسم الله لك ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢] ، ولا تتقمص شخصية غيرك فتقمص صفات الآخرين يسمى انتحار وذوبان ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] وأعظم شيء يسعد فيه الإنسان أن يكون من الذين ذكروا في قوله تعالى :﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المائدة:١١٩] ، ولا يمكن أن ينال الإنسان رضا الله برضي الناس كما ورد في الحديث الذي فيما معناه: « من أسخط الله برضا الناس سخط عليه وأسخط عليه الناس ، ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عليه الناس» ، فالساخطون دائماً ناقمون غاضبون كيف لا وقد عرضوا أنفسهم لسخط الله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ

اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) ﴾ [محمد : ٢٨] ، والذي لا يرضى بأقدار الله ولا يُسلم أمره إلى لله فليبتغي له نفقاً في الأرض أو سلَّماً في السماء وإن شاء ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ [الحج : ١٥] .

[٥] **ومن أسباب السعادة الإحسان إلى الآخرين:** وهذا مجرب ومشاهد فالذي يحسِن إلى الآخرين تجد أنه أسعد الناس وأكثرهم قبولاً في الأرض، قال تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)** ﴾ [النساء : ١١٤] ، وقال عز وجل :﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) ﴾ [الإنسان :٨]،إلى قوله تعالى :﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان :٨] ، فالإحسان إلى الآخرين والتفاني في خدمتهم سبب لسعادة الدنيا والآخرة يقول عليه الصلاة والسلام: « **أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً ،أو تطرد عنه جوعاً ، ومن كظم غيظه ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة**» رواه الطبراني،وذكره الألباني في صحيح الجامع،والمسلم إذا أحب أن يكون من السعداء عند الله فليحسن إلى إخوانه المسلمين بدون أجرٍ ولا مقابل لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:« **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»، ولا شك أن بذل المعروف للآخرين والإحسان إليهم سبب مباشر لتخفيف المصائب والأزمات حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر**» رواه الطبراني بسند حسن ، وقال أيضاً: «**الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**» ، إذاً الإحسان إلى الناس طريق إلي السعادة ، فقد سُعدت بغية من بغايا بني إسرائيل بدخولها الجنة لأنها سقت كلباً على ظما .

حيـــاة الســـعداء:

والسعداء يعيشون حياة الفرح والسرور يفوضون أمر هم إلى الله ويتوكلون عليه ويثقون به، فهذا إبراهيم عليه السلام كان من السعداء لَمّا ألقيَ في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً ، الرسول ﷺ والصحابة الكرام لَمّا توعدهم الكفار قالوا: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾ [آل عمران: ١٧٤] ،هناك نفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء شقاء ، ونفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء سعادة فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم سُلبوا أوطانهم وأهليهم وأموالهم طردوا من مراتع صباهم وملاعب شبابهم ،سحب بعضهم على الرمضاء، وحبس آخرون في العراء لكنهم مع ذلك كانوا سعداء حقاً مع إمامهم وقدوتهم محمد عليه الصلاة والسلام كما وصفهم ربهم. ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [الفتح: ٢٩] ، إذاً السعيد لا يأكل أكثر مما يأكل الناس، ولا يملك أكثر مِمَّا يملك الناس لكنه يرضى أكثر من الناس ، وفي يوم القيامة ينقسمون إلى فريقين ، فريق السعداء،وفريق الأشقياء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ﴾ [هود : ١٠٦ - ١٠٨] .